جعفر ابو التمن

80 عاماً على الرحيل

حراقة

من زمن التوهيج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة

رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6023) السنة الثالثة والعشرون

الخميس (6) تشرين الثاني 2025

لقد انتظمت نشـاطات جعفرابوالتمن والجماعات السياسية المناهضة للمعاهدة اكثر مما كانت عليه ايام الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ فلقد اقتنع كل من المندوب السامي والحكومة العراقية المؤقتة بضرورة اعادة الحرية لتشكيل الاحزاب السياسية لقد كانت لدى المندوب السامي والحكومة العراقية القناعة بان العناصر الوطنية سوف تلجا الى اسلوب تنظيم الاحزاب السرية اذا لم تجاز تنظيماتها ففي برقية سرية رقم ١٩٧ بعثها المندوب السـامي الى وزارة المسـتعمرات في ١١/ ٣ /١٩٢٢ جاء فيها: ((لقد تاكد للمندوب السـامي وللحكومة بان الوطنيين سـوف يشـكلون حزبا سياسيا سـريا اذا لم يسـمح لهم بالتشكيل العلني)) لكن تشكيل الاحزاب السياسية قد تاجل لان المندوب السامي كان يخشى من ان تؤدي الاختلافات بين المعتدلين والمتطرفين من وجهة النظر البريطانية الى الاخلال بالامن العام اثناء المباحثات حول المعاهدة وقد ايد المسـر تشرشـل راي المندوب السامي واقترح بان تقدم برامج الاحزاب السياسية للمندوب السامي لغرض الموافقة عليها.

جعفر ابو التمن وتشكيل الاحزاب السياسية في العراق

د خالد التميمي

ظهر هناك بعد مؤتمر كربـلاء في نيسان ١٩٢٢ حزبـان مناهضان للانتداب هما الحزب الوطني وحـزب النهضة وبـد كل منهما في دور التكوين في بغداد . ففي الوقت الـذي تالفت فيه قيادة حـزب النهضة من الشيعـة فقط فقد كانـت قيادة الحزب الوطـني مختلطة من اكثرية سنية ومعهم شيعـة ايضا بحيث تضمنت اللجنة التاسيسية كلا من جعفر ابو التمن ومحمد مهدي البصير وهما مـن وجـوه الشيعـة لقـد بـدا الحزبـان المذكوران نشاطاتهما السياسية بصـورة سرية بينمـا اسـتمرت الجماهيـر من خـلال الصحافة والاجتماعـات والعرائض بمطالبـة الحكومة من اجـل السمـاح بتشكيل الاحـزاب وفي ٢٨ تموز ١٩٢٢ قـدم جعفـر ابـو التمـن طلبـا الى وزارة الداخليـة للحصـول على اجازة تشكيل الحزب الوطنـي تلك الاجـازة التي طلـب الحصول عليها اصلا في ايلـول ١٩٢١ وقد وافقت الوزارة في ٢ اب ١٩٢٢ يرى البعض ان سماح الحكومة لجعفر بتشكيل الحزبالوطني كان ذا مغزى فبعد ان كان بعض انصار جعفر قد شكلـوا حزبا شيعيا حزب النهضة تحت قيادة كل من امين جلبي الجرجفجي وعبـد الرسـول كبـة في ١٠ اب ١٩٢٢ كظاهـرة اختـلاف او انشـقاق في المعسكر الشيعي بينما كان تصـرف جعفـر ينسجـم تمامـا مـع الثقوابت الديمقراطية ومـع الوطنية العراقيـة التي يؤمن بها . لقد ضمت الجنة التاسيسية الجديدة للحزب الوطني :

محم د جعفر ابو التمن
بهجت زينل
محمد مهدي البصير
احمد الشيخ داود
عبد الغفور البدري

وتم انتخـاب جعفر سكرتيرا عامـا بعد الحصول على الترخيص باقامة الحزب.

وقد طلب جعفر بان تصبح صحيفة المفيد الصوت الناطق باسمن الحزب لكن محرر الصحيفة رفض ذلـك لذا تمـت المباشـرة بصحيفـة جديـدة باسم (اعـلام الاسـلام) وتحمل جعفر نفقـات ذلك . بدا جعفـر بعد ذلـك بالسعي لدمـج الاحـزاب الثلاثة الوطني النهضة والعهد وكان هدفه من ذلك تكوين حـزب موحـد ليكون جـزءا متمما للعهـد العراقي وكان جعفـر نفسه حلقة الوصل بـحزب العهد الا بعض عقبـات ظهـرت في طريـق جهـوده نتيجة عـدم موافقـة بعض العناصر في حـزب النهضة بخصـوص تعيين المقـر العام للحـزب الموحد في النجف ام في بغـداد وحاول جعفر ان يقوم بدور الوساطة بين العهد والنهضة بهدف جمعها لكنه لم يستطع تسوية الخـلاف بين الحزبين بخصوص مسـالة مـكان المقر العـام للحزب الموحـد المقترح فحـزب النهضة بقيـادة الجرجفجي الشيخ محمد رضا الشبيبي الشيخ باقر الشبيبي والسيد كاظم العـوادي كان حزبـا شيعيا باكثرية العـدد واراد ان يكـون مقر الحـزب الموحد في النجـف المدينة الدينيـة المقدسـة امـا الاخـرون مـن اعضاء حزب العهـد العراقي والذين كانـوا من السنة في الغالب بقيـادة نـوري السعيـد ياسين الهاشمـي وجميل المدفعي فقـد ارادوا ان يكون المقر العام في بغداد التـي كانـت قاعدة نفـوذ قويـة بالنسـبة للزعامة السنيـة وخـلال الفـترة ٢٠ -٢١ اب ١٩٢٢ جرت مفاوضات بين لجنتي الحزبين الوطني والنهضة في مقـر الحـزب الوطنـي وقـد ناقشـت جعفـر الوضـع السياسـي في البـلاد مـع كل من محمد الصدر وامـين الجرجفجي. وقـد تم الاتفاق على وجـوب توحيد الحزبين لجهودهـما ونشاطاتهما السياسـية وتم تكويـن لجنـة مشتركـة برئاسـة سيـد محمـد الصدر لذلـك الغرض وقـد صدر في اجتماع اللجنـة المشتكة في ٢٠ اب قرارا ادى الى الاجـراء الذي اتخذه المنـدوب السامي في ٢٦ اب ١٩٢٢ وحيـث صادفت ذكرى تنصيب الملك فيصل الاول على عرض العراق في ٢٣ اب فقد تم الاتفاق على ان يقوم جعفر وامـين الجرجفجي شخصيا بتقـديم احتجاج يتضمـن مطالـيب حزبيهما الى الملـك كمـا اقترح جعفـر تنظيم تظاهـرة في نفس اليـوم لتقـديم مطالـيبهما غـير ان الجرجفجي لم يقبـل فكـرة المظاهـرة لكنـه وقع علـى الاحتجاج وكان الملك والمندوب السامي قد تسلما من رؤساء الشامية وابـو صخير والرميثـة (مناطق الفرات الاوسـط احتجاجا مماثلا من حيث الجوهر وفي ٢٣ اب ١٩٢٢ تراس جعفـر وفدا مـن اعضاءس اللجنتـين التنفيذيتـين للحزبين في لقـاء مع الملك وبعـد تقديم التهاني عرض جعفر ابو التمن على الملـك الاحتجاج التالي: ((حيـث ان الشعب تطلع بعد اعتـلاء جلالتكم العرض واعـلان استقلال العـراق الى تاسيس حكومـة دستورية وانتخاب مجلس نيابي لاجل وضع مسودة قانون اساسي اضافة الى تاسيس هيئة تشريعية يكون الوزراء مسؤولـين امامها بموجب العرف المعمول به لدى الحكومات الدستوريـة وحيث ان هذه الوعود لم يتم الوفـاء بها فقد تحمل الشعب انـواع الشرور نتيجـة ادارة سيئـة هيمـن النفـوذ البريطـاني عليها خلافا لـروح الاستقلال وتبني البريطانيين سياسـة فـرق تسـد وغـير ذلـك مـن نشاطـات لا قانونيـة قد تـؤدي الى تحطيم الشعـب ورغم كل الشـكاوى التي قدمت الى جلالتكم والية سلطات حكومية عليا فلم تلقا شكاوى الشعب اذنا صاغية لقـد تم استبـدال موظفـين جديـين باخـرين هـم ادوات بايدي المستشاريـن ان هذه النتيجة وبعد انتظار طويل تسببت في خيبة امل الشعب وقلقه اذا مـا استمر سـوء الادارة والسياسة ان الشعب مضطر الى عرض قضيته المؤسفة عليكم ويطالب بالاصلاحـات وان احدهـا صقوط الـوزارة التي هـي اكـبر العوامـل في عـدم تحقيـق طموحـات الناس وفي استمـرار الاضطرابات التي لا تحمد نتائجهـا وبمـا ان المجلس التشريعـي لم يؤسس بعد وحيـث ان للشعب الحق في المراقبة المباشرة على اعمال الـوزراء فان الحزبين الحزب الوطني وحـزب النهضة يعتبران ان من واجباتهما التقدم بالطلبات التالية:

١- وقف كافة النشاطات المذكورة وخاصة ما ذكر اعلاه.

٢- تاسيس حكومة يتصف اعضاؤها بالاخلاص والمقدرة وتضمن للشعب انتهاء الاضطرابات.

٣- ان لا يتـم التوقيع علـى اية معاهدة وان لا يتم الدخـول في ايـة مفاوضات لحـين انعقاد مجلس نيابي دستوري ينتخب اعضاؤه بحرية.

التوقيع
جعفر ابو التمن
السكرتير العام

كذلـك اخبر جعفـر الملك بان الحزبـين يرغبان في التعبـير عـن موقفيهما ازاء الوضـع السياسـي بصـورة علنيـة في ساحة القصـر وانهما يرغبان في حضـور ممثل جلالتـه الى الاحتفال وقد القى محمد مهدي البصير احـد زعماء الحزب الوطني كلمة بحضور فهمي المدرس حاجب الملك وقد نشر نص الاحتجاج وكلمـة البصير في صحيفة المفيد في نفس اليوم.

كانـت لـدى اعضـاء الحـزب الوطنـي تعليمـات بالتظاهـر في ساحـة القصـر كمـا ذكرنـا سابقا وفي اثنـاء صخـب التظاهـرات والخطابـات استحدثـت عناصـر حـزب النهضـة قائدهـا عبد اغلرسـول كبة علـى القاء كلمة ففعـل وص٢ادف ذلك وصـول المندوب السامـي وموظفوه في تلك اللحظـة وبينما كان المندوب يصعـد السلم تدافع المحتشـدون من حوله وسمع هتافات فسرت بانها مهينـة للمنـدوب السامي الـذي طالـب بالاعتذار وباتخاذ الاجراء اللازم وقدم الملك اعتذارا الا انه رفض اتخاذ اي اجراء ضد المتظاهرين.

وفي اواخـر اب اسـتمرت حملة الحـزب الوطني ضد المعاهـدة وساءت حالة الامـن والانضباط خاصة عندما تم نشر نص المعاهدة وتعميمها بين الجماهـير. وقد اشيع بان جعفر ابو التمن كان قد سرب نسخة الى قادة المعارضة الذين استقبللهم في بيتـه عندما كان وزيرا للتجـارة بعد ذلك وفي ٢٣ اب مرض الملك نتيجة التهاب الزائدة الدودية وكانالابد من اجراء عملية جراحية مستعجلة له في ٢٥ اب وقبل ساعتين من اجراء تلك العملية قام المندوب السامي وكورنوالس cornwallis بزيـارة الملك وزشرحوا له مسؤوليته عن حوادث يوم ٢٣ اب التي كانت بمثابة التعاون مع عناصر الحزب الوطني وقـد اقترح المندوب السامي على الملـك فيصـل ان يتبرأ علنـا من اولئـك المشاغبين والا فليتنـازل عـن العرش كمـا اخبـر المنـدوب السامـي الملك بوجـوب اتخاذ اجـراء حاسم ضد قـادة الحزبين الوطني والنهضـة وبعد ساعة من النقـاش اخفقا عن اقناع الملك بتنفيذ ما ارادا ومن اجلالمزيـد من الفهم للظـروف الصعبـة التي كان يعيشهـا الملك فيصل الاول حيث كانت تشده قوى لهـا واقـع يومي معاش نقـدم للقـارئ صورة عن الكيفيـة التـي كان يفكر ويتعامل بهـا المسؤولون البريطانيون انذاك مع الملك ومع القوى السياسية العراقيـة . برقية من المنـدوب السامي في العراق الى وزير المستعمرات

الرقم ٦٠٥ / التاريخ ٢٦ اب ١٩٢٢

وردت لـوزارة المستعمـرات في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر ٢٧ /٨/ ١٩٢٢

نص البرقية:لقـد قمنا انـا وكورنوالس بزيارة فيصـل في وقـت مبكـر في السابعـة والنصـف مـن صبـاح هـذا لاليـوم اي في اليـوم التـالي ليـوم التتويـج قبـل ساعتين مـن بـدئ اجتماعه بمستشـاره لقـد شرحنـا لـه بـان مـن الواضـح لي باننـا وصلنـا الى مفـترق الطـرق ومن خـلال الحديـث الـذي جـرى معـه في الشرطـة التابعة لغرفتـه لحظة زيارتي له قلت انـه اصبح مسؤول شخصيـا ومعروف بعلاقتـه مـع هذيان وتخريف جماعـة الوطنيين المتطرفـين والذي طالما تكررفي صحيفتـين محليتين انه فيصـل الان حسب وجهة نظري اما قد يصبح بالتاكيد معنا باعلان انفصاله علنا عن هؤلاء المشاغبين والا فانه يتحمل النتائج الى حـد انه يعرف انها نهاية ملكيته لقد استمريت في حديثـي معـه وقلت لقـد جئت اليـك بعـد ان استشـرت كورنوالس والمفتشس العـام للشرطة الذي كان نـوري السعيد انذاك بـاني قد توصلت الى محصلـة هـي ان نشـاطات الشغـب والفتك التـي يقوم بها جماعته فيصـل قد تجاوزت جميع الحـدود الى درجـة انه لم يعـد من الممكن تقوية الامن العام ما لم تتخذ اجراءات سريعة وحاسمة وطبقا لذلك فنحن نطلب منك ان تامر خارج نطاق الـوزارة بالقـاء القبض على الغوغائـي الذي القا خطابا محمد مهدي البصير حماسيا ن الشرفة مع ستة من انصاره المقربين لقد امضينا ساعة كاملة في محاولـة اقناعه بان هـذا الاجراء هوة فرصته الوحيـدة لانقـاذ نفسه وسحـب يديه مـن اولئك المشاغبين ولكن مـع الاسف اني اقول باننا فشلنا في اقناعه باتخاذ الاجراء الذي اردناه.

لقد ناقشنا بانـه يعتبر ذلك الاجـراء سوف تنتج عنـه ثـورة اكثر مـن ايقافهـا وهو امـر لايريد ان يضع المسؤولية على كتفيه انني شخصيا مقتنع بانه مرتبط بالمتطرفين وان فكرة مستحوذة عليه تمامـا وهي ان قـوة المتطرفين كبـيرة ومسيطرة بحيـث تجعلـه يخـاف عاداتهم وبمالنـه لا توجد حكومة الان في هذا الوقت بسبب استقالتها وبما ان الملك مريض وغير راغب اتخاذ الاجراء بنفسه ان من الضـروري ان اتخـذ الاجـراءات بنفسي وطبقا لنفسي فان اجراءات القاء القبض قد اعدت هـذا الصباح اربعـة منالمهين قـد تم اصطيادهم واخر ارسل الى معتقل عسكري في البصرة اربعة اخـرون اقل اهمية عثر عليهم بعد جهد جهيد كما تم حضـر نشـاط حزب متطرف وغلق مقرهمؤقتا كما تم غلق صحيفتين ومصادرة موادها واعتقال المحـررين او هم على وشـك ان يعتقلوا لقد بقيت المدينـة بغـداد هادئـةولم تجـد قـوات الشرطـة ضـرورة الى طلـب المساعـدة من قـوات الجيش

انني مقتنع ان هذا الاجـراء سوف يضمن تعزيز الاستقرار ويبقى معلقـا بالقرار النهائي لحكومة جلالته (البريطانية).

انني الان بصـدد اصـدار بيـان للـراي العام في العـراق في مسـاء هذا اليـوم ٢٦ اب ابـدا بشرح كيفيـة الاجـراء الـذي تم بنـاء على غيـاب مجلس الـوزراء وعطلـة البرلمان فـان حكومـة جلالته لا تستطيـع اعلان قرارها النهائـي حتى بداية ايلول وبنـاء على ذلـك وبموجـب واجبـات الجميع ان ينتظروا قرارها بصبـر . ان مسؤولية دعم الامن والنظام لانتظار اثلبت بصـورة نهائية للمعاهدة هـي مسؤوليـة مشتركـة بـين حكومـة العـراق والمنـدوب السامـي البريطاني.ولسـوء الحظ لا توجـد حكومة في الوقـت الحاضـر والملك عاجز بسبب مرضه الخطـير (التهاب الزائدة الدودية).

ولهـذه الاسباب اخذ المنـدوب السامي المسؤولية على عاتقـه والتـي لـو لا الضروريـات لم يقـم باجرائها مـن اجل دعم الامن وبنـاء على ذلك فقد تقرر اتخاذ خطوات اضافية للاجراءات السابقة.

هذا الاجـراء يتضمن عدم تغيير السياسة القائمة ولكـن بالقانـون ان جميـع اولئك الذيـن يحبون ويراعـون مصالـح وطنهـم قلبيـا والذيـن يهمهم الحفـاظ علـى علاقـات الصداقـة مـع بريطانيـا العظمـى قد دعـوا للوقوف سويـة لتعزيز النظام ومنـع المشاغبين الذيـن لا يشعـرون بالمسؤولية من اقلاق السلام او التسبب في تصديع العلاقات السعيـدة بـين البلديـن .من المحتمـل ان اثنين من علمـاء الكاظمية سـوف يخلقون المتاعـب ولكني امـل بان الاجـراءات التـي اتخذتهـا ستؤثـر على موقفهم .

التوقيع
برسي كوكس
المندوب السامي

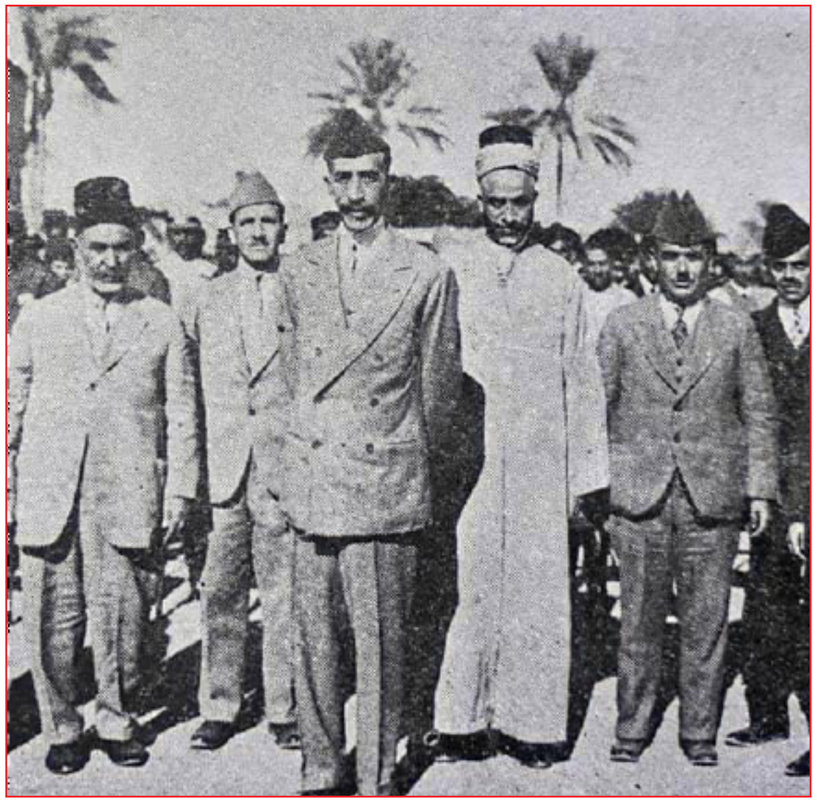

محطات في حياة جعفر ابو التمن.. الشخصية الوطنية الخالدة

نجيب محيي الدين

تعتبر شخصية جعفر ابو التمن من ابرز الشخصيات الوطنية العراقية إن لم تكن أبرزها ، حيث كان لها حضورها المتميز ودورها الفاعل على الساحتين السياسية والأجتماعية خلال النصف الأول من القرن الماضي . ومع أنها حظيت ببعض الدراسات التاريخية السياسية وتناولتها بالأهتمام كثير من الصحف والمجلات في مناسبات مختلفة ، ألا أننا ونحن الآن في غمرة ماتواجه بلادنا من اخطار ومايعانيه شعبنا من مشكلات وأزمات تهدد تماسك وحدته وأمنه وأستقراره ، فأن الحاجة تبرز ماسة في هذه الأيام الى إستذكار شخصياتنا الوطنية وتسليط الأضواء على أهم ما تميزت به والأستلهام من مواقفها والأقتداء بها على وفق ماتقتضيه مصلحة بلادنا.

وهنا تبرز شخصية المرحوم الحاج محمد جعفر ابو التمن التي تميزت بالشعور العالي المخلص بالمسؤولية الوطنية وبتساميها فوق النزاعات والأهواء والتعصب ، معتزة وحريصة على هوية المواطنة العراقية باعتبارها الهوية الأساسية التي تصون البلاد وتحفظ حقوق جميع المواطنين بعدالة ومساواة مهما كانت إنتماءاتهم وطوائفهم وقد قدر له الشعب مواقفه طيلة حياته وبعدها ، ويمكن ان يدل ذلك بما القي من شعر ونثر خلال الحفل الأربعيني لوفاته من غرر الأدب العربي والذي لم يكن بروعته أي حفل تأبيي لأي زعيم سياسي عراقي قبله او بعده حتى الآن ، كما ان موكب تشييع جنازته من بغداد الى النجف كان حافلا جدا ً تستقبله الجماهير في جميع المدن والنواحي والقرى التي مر بها بكل حزن وأسف وتقدير وهو مالم يحصل لغيره.

ليس هدف هذه الكتابة تقديم عرض وافٍ لسيرة فقيدنا الراحل – أبو التمن - ومواقفه في جميع مراحلها . بل هو استذكار لأهم محطات مواقفه لما تتضمنه من معان ومواقف جديرة بالأعتبار والتقدير.

لعل من المناسب أن أبين بأختصار الحالة العامة للبلاد في الفترة التي عاشها الفقيد وتأثر بها وتمثلت في خسارة الدولة العثمانية الحرب ١٩١٨) وإنتصار جبهة دول الحلفاء وبضمنهم - العالمية الأولى (١٩١٤ بريطانية ، وقد أدى ذلك– كما هو معلوم – الى إنسلاخ العراق عنها وإنهاء سيطرتها عليه وحكمها له بعد عدة قرون من الزمن لتحل محلها السيطرة البريطانية. ومنذ ذلك الوقت بدأت مطالبة العراقيين بالأستقلال ومقاومتهم للسيطرة الأجنبية بمختلف الأساليب والمستويات ... رجال دين وعشائر وأبناء المدن من مثقفين وغيرهم وأعتمدوا الأساليب السلمية في ذلك أولا ، ولما لم يجدوا في ذلك مايحقق طموحاتهم في التحرر والأستقلال التام ، فقد تبلورت آراؤهم ومواقفهم بالثورة على تلك السيطرة الاجنبية ، فقامت ثورة العشرين الخالدة ٣٠ حزيران ١٩٢٠ المعروفة التي انطلقت من الفرات الاوسط لتعم بعد ذالك كثيرا من انحاء العراق.

لقد دامت تلك الثورة الخالدة عدة اشهر فقط و قد حظيت بتأييد واسع من معظم شرائح المجتمع العراقي و حققت بعض النجاحات الميدانية و أقامت ادارات محلية و وطنية في الاراضي المحررة و اصدرت صحيفة تنطق بأسمها في النجف الاشرف الا ان الثورة اخفقت عسكريا لعدة اسباب يأتي في مقدمتها عدم تكافؤ القوى العسكرية و المالية و التنظيمية بين قوى الجانبين العراقي والبريطاني ، ومع ذلك فأنها اوقعت في الجانب العسكري البريطاني خسائر غير قليلة بالاضافة لما اثارته من قلق لدى المسؤولين البريطانيين على المصالح البريطانية التي جاءوا من أجلها الى العراق. وهذا ما حملهم على التفكير بطريقة اخرى لحكم العراق على غير ما كان في أذهانهم من أسلوب حكم له بإعتباره مستعمرة من مستعمراتهم العديدة في ذلك الزمن . وقد توصلوا أخيرا الى ما يضمن مصالحهم بتأسيس دولة عراقية و يرأسها ملك عربي و تديرها حكومة عراقية تكون موالية للسياسة البرطانية و مرتبطة بها بمعاهدة تضمن ذلك .

بروز شخصية ابو التمن كان من الطبيعي أن تفرز هذه الاحداث و تبرز من خلالها شخصيات وطنية متنوعة و بمختلف المستويات و المجالات... رجال دين و عشائر ومثقفين و رجال أعمال و شرائح أخرى في المجتمع فكان من الشخصيات التي برزت و تميزت هي شخصية هذا الموضوع وهو المرحوم الحاج محمد جعفرأبو التمن ،الذي اخذت شخصيته تتألق يوما بعد يوم و بموقف حصيف جرئ إثر آخر وتحظى بتأييد المواطنين و اعجابهم و ثقتهم ، لاسيما و أنه قد كانت له و لأسرته مواقف جديرة بالتقدير منذ اواخر العهد العثماني في مواجهة القوات العسكرية البريطانية منذ بدء احتلالها للعراق.

لم يتميز ابو التمن بشدة مقاومته للسلطات البريطانية المحتلة فحسب بل تميز ايضا بما كان يدعو اليه و يعمل جاهدا من أجله وهو ترسيخ الوحدة الوطنية من اجل نظام ديموقراطي و دستوري الى جانب القيام باصلاح شامل للبلاد يحقق الحلول لمشاكلها و يدفع بها الى التقدم و هنا ارى من المناسب أن أقدم موجزا عن نشأة فقيدنا و ثقافته ومركزه الاجتماعي تمهيدا لما سأبينه عن اهم محطات مسيرته التي تميزت خلالها مواقفه كمواطن مخلص و متنور و رجل دولة مدرك لمسؤولياته الوطنية تجاه جميع أبناء الوطن دون تمييز انه الحاج محمد جعفر بن الحاج محمد حسن بن الحاج داود ابو التمن ولد في بغداد عام ١٨٨١ م من اسرة عراقية عربية من أسر بغداد القديمة المعروفة ونشأ في كنف جده الحاج داود الذي كان من كبار التجار و متميزا بتدينه و اشتهر بين جماعته و محلته بالغنى و لتقوى وحب الخير. بدأ جعفر ابو التمن تعليمه في الكتاتيب ثم درس اللغة العربية على ايدي معلمين خصوصين و اعتمد على نفسه بعد ذلك في اكتساب الثقافة و المعرفة بمطالعته لمختلف أنواع الكتب العربية و الدينية والتاريخية و الحديثة ذو ثقافة عربية دينية متسامحة و متنورة و أصبح وهو في سن الشباب يتمتع بمركز خاص في الحياة الاجتماعية و الثقافية وبطراز تفكيره التجددي في كثير من القضايا الاجتماعية و الدينية و يوجه الانتقادات لكثير من أوضاع المجتمع العراقي وطرق حياته آنذاك .

المحطة الاولى

ابو التمن رائدٌ و عاملٌ من اجل الثقافة و التعليم و التجديد تشكل هذه المحطة بداية فعالياته في مجال الشؤون العامة منذ مطلع شبابه حيث بدأ نشاطه في اواخر العهد العثماني فقد رأى بنظرته الثاقبة التحررية وملامسته للوقائع العملية في الحياة ، ضرورة اشاعة روح التجديد في المجتمع والتصدي لمشاكله الناجمة عن تخلفه الثقافي والاجتماعي وفي مقدمتها الامية المتفشية انذاك لضآلة عدد المدارس الموجودة من جهة و لعدم التوجه اليها من قبل المواطنين من جهة اخرى .

فبدأ يسعى مع مجموعة من الاشخاص و في مقدمتهم جده الحاج داود أبو التمن وعمه الحاج سلمان أبو التمن لتأسيس مراكز لمكافحة الامية في بغداد و مدرسة لتكون على وفق المناهج الحديثة متضمنة تعليم اللغات الاجنبية و العلوم الطبيعة و المالية و تطبيقاتها في مسك السجلات الحسابية و اجراء المراسلات التجارية.

لقد وجد فرصته في الانقلاب الذي قام به حزب الاتحاد و الترقي العثماني و اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ و ماحصل من بعض التبدل في النظرة الطائفية السلبية للحكومة العثمانية نحو الشيعة وتعليمهم في العراق ، اذ لم يكن يسمح لابنائهم في القبول في المدارس الحربية و المعاهد العالية ، كما لم يكن يسمح لهم أيض اً بتقلد وظائف الدولة إلا بدرجة محدودة ، وهذا مالم يكن يشجع أبناء الطائفة الجعفرية على الأنتساب الى المدارس الحكومية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن أكثرية المراجع الدينية لم تكن تشجع هي أيضا الأنتساب الى هذه المدارس ، بل كان بعضها يحرم ذلك بأعتبار المدارس الحكومية مَفسدة للدين و الاخلاق . وفي ظل هذه الاجواء و الاعتبارات لم يكن سهلا على ابي التمن و جماعته اخراج مشروعهم الثقافي هذا الا بعد جهود كبيرة بذلتها تلك الجماعة و التي تميز هو من بينهم ، فسعى لذلك لدى بعض المراجع الدينية لكي تدعم جهودهم بعد أن عملوا على تعريفهم بطبيعة هذا المشروع و اهميته لأبناء الطائفة الجعفرية و غيرهم . و كان في مقدمة هذه المراجع عالم بارز متجدد من علماء الدين الشيعة هو العلامة المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي الذي إقتنع بالفكرة وبادر لتأييدها و إقناع المعارضين من المرجعيات الدينية و الشخصيات الاجتماعية . لقد أطلق اسم ((مكتب الترقي الجعفري العثماني)) على مدرسة اللغات و العلوم و لحسابات التي كانت النواة لتأسيس المدارس الجعفرية فيما بعد. لقد رأت السلطات العثمانية عند تقديم طلب فتح هذه المدرسة بانها يمكن ان تكون ذات صفة طائفية وتقتصر الافادة منها على ابناء الطائفة الجعفرية و حدهم. الا ان ابو التمن استطاع اقناعهم بأنها ليست كذلك و انها ستكون مؤسسة و طنية عراقية تقدم خدماتها لجميع ابناء الوطن و على هذا فقد تمت موافقة السلطات العثمانية ، وهو ماسارت عليه فعلا سياسة المدرسة وسارت على نهجها سياسة المدارس الجعفرية بعدها فألتزمت بها اداراتها منذ تأسيسها وحتى اغلاقها بعد عام ١٩٦٨ . وحينما اتيحت لي فرصة التدريس في قسمها الاعدادي خلال العامين ١٩٥٤ كان طلابها من منتسبي جميع مكونات / ١٩٥٣/١٩٥٢ و ١٩٥٣ الشعب العراقي الدينية و المذهبية والقومية و دون اي تمييز بينهم ، وكذلك كان تكوين ملاكها التدريسي فقد كان هو متنوعا أيضا ، فلم يكن اساس اختيار التدريسيين فيها الا الكفاءة والقدرة والأخلاص في العطاء.

أن هذا النهج غير الطائفي الذي تميزت به المدارس الجعفرية لم يكن الا أمتدادا لنهج المرحوم – أبو التمن- الذي امن به وثبت أسسه والتزم به في جميع المواقف والمناسبات . وقد كان لنجاحه في تحقيق هذا المشروع أثرٌ كبيرٌ في ابراز شخصيته في المجتمع ، لاسيما وأنه قد كان أنذاك في طور الشباب، كما أن هذا النجاح يمكن أن يعتبر المحطة الأولى في مسيرة اهتماماته بالشؤون العامة للوطن وبداية لأكتسابه ثقة المجتمع العراقي.

انما ما ابداه من نشاط و اهتمام بهذا المجال يدل دلالة واضحة على ماكان يتمتع ويتميز به من فكر تنويري وتجديدي ويحمل التقدير لأهمية التعليم في تحقيق الاصلاح والتقدم للبلاد.

المحطة الثانية

حركة الجهاد ضد القوات البريطانية ودوره فيها تعتبر هذه المحطة من المحطات المهمة أيضا في مسيرة أبو التمن السياسية والدينية والأجتماعية، اذ أكسبته أحداثها وما قام به خلالها من أدوار لدى الحكومة العثمانية احتراما كبيرا لديها ولدى الشعب العراقي ، وظلت الحكومة العثمانية تستعين به في بعض المواقف السياسية ، وكانت مواقفه ومواقف عائلته خلال تلك الفترة معبرة عن الصدق والأيمان والأخلاص للمبادئ الدينية التي امنوا وعرفوا بها بأعتبارها عائلة شيعية متدينة، محترمة ومتميزة في الأوساط الأجتماعية والدينية. فعندما أعلنت الحكومة العثمانية الحرب على بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) بدأ البريطانيون بأحتلالهم للعراق ابتداءا من البصرة، فأرسل وجهاء البصرة الى علماء الدين في كافة العتبات المقدسة في العراق «نداء استغاثة لتخليصهم من الكفار المحيطين بهم» وقد بدا موقف العثمانيين ضعيفا أمام القوات البريطانية التي أخذت بالتقدم شمالا ، وعلى هذا فقد أيدت الحكومة العثمانية استغاثة وجهاء البصرة فأرسلت شخصيات مهمة الى النجف الأشرف للأتصال بالمجتهدين الكبار للحصول على أصدار الفتاوى للدعوة الى الجهاد بجانب العثمانيين لمواجهة الكفار الغزاة، فحصلوا على ذلك من قبل كثير من المجتهدين الأعلام ، وقد كان لهذه الفتاوى الأثر الكبير في استجابة الناس والأنضمام الى حركة المجاهدين الى جانب العثمانيين.

لقد كان المرحوم جعفر أبو التمن والمرحوم جده الحاج داود وكلعائلته من أبرز الشخصيات المؤيدة لهذه الدعوة بدافع ايمان ديني خالص، فأنيطت به بعد توجه جده الى ساحات الجهاد بنفسه في البصرة؛ رغم شيخوخته ؛ مهمة تزويد المجاهدين بالمؤن والأموال اللازمة بالأضافة الى مهمة الأرتباط بين السلطات العثمانية والمجاهدين ، فأثبت جدارة متميزة وقدرة عالية في أداء كل المهمات التي كلف بها.

لقد كان معروفا موقف العثمانيين ، بموقفهم السلبي وتعصبهم الطائفي تجاه المواطنين الشيعة ، ومع ذلك فأن اصدار المراجع الدينية لفتاوى الجهاد الى جانب العثمانيين المسلمين واستجابة الناس لها مهما ، كان تعبيرا عن ايمانها الديني العميق بوجوب حماية الثغور الأسلامية، وهذا ما كان ينسجم تمام الأنسجام مع شخصية وأفكار فقيدنا – أبو التمن- المعروفة بصدق وبشدة تدينها مع شدة ابتعادها عن التعصب الطائفي وأستنكاره والتصدي له ، ورفضها لأي رد فعل سيئ مماثل ، اذ كان يرى أن الفعل السيئ لا يُسوغ القيام برد فعل سيئ مماثل ، وهو نهج ظل ينتهجه طوال حياته وهو نهج جدير بالتقدير وجدير بالأقتداء في حياتنا السياسية وعلاقاتنا الاجتماعية.

وفي عام ١٩١٥ انتهت حركة الجهاد وأعلنت الهدنة بين الحكومة العثمانية والحكومة البريطانية في عام ١٩١٨ وقد أتمت أحتلالها للعراق ليبدأ العراقيون فصلا جديدا لتحقيق أستقلالهم.

المحطة الثالثة

نشاطاته الوطنية في التنظيمات السياسية من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٣٣

تعتبر هذه المحطة هي الأخرى محطة مهمة في حياة - أبو التمن – السياسية وأطولها زمنيا حيث كان له حضوره المتميز خلال أهم الأحداث فيها وبرزت خلالها شخصيته السياسية والشعبية بأعتباره زعيما وطنيا مخلصا وكفوءا.

لقد بادر قادة الحركة الوطنية العراقية حال اعلان بريطانيا أنتدابها لحكم العراق بالمطالبة بالأستقلال التام للبلاد وأعتمدوا الوسائل السلمية لذلك في بداية الأمر ، الأ أنهم تخلوا عنها بعد أن يئسوا من تحقيق هدفهم بها فشعروا أن الحاجة قد أصبحت ماسة للعمل بتنظيم سري وأستطاعوا تحقيق ذلك في شباط ١٩١٩ بتأسيس ((جمعية حرس الأستقلال)) وحيث أن – أبو التمن – لم يكن بعيدا عن الحركة الوطنية فقد أنضم اليها في عام ١٩٢٠واصبح عضوا في هيأتها الأدارية العليا ، وإذ تم أنتخاب المرحوم السيد محمد الصدر رئيس شرف للجمعية، فقد تم أنتخاب – أبو التمن – أمينا لسر الجمعية ، وكان هذا الأنتخاب يعبر عن مدى الثقة بقدراته وأخلاصه، فعهدت اليه مهمة الأتصال برجال الدين ورؤساء العشائر وقادة الحركة الوطنية في بغداد وقد أثبت فعلا كفاءته ونجاحه فيما عهد اليه.

اعلان الثورة العراقية – ثورة عام ١٩٢٠

يعتبر يوم ٢٠ حزيران ١٩٢٠ يوم انطلاق الثورة المعروفة بثورة العشرين الخالدة التي أنطلقت من الديوانية على اثر اعتقال أحد شيوخ العشائر فيها وهو (الشيخ شعلان أبو الجون) ونجاح محاولة عشيرته بالهجوم على مركز اعتقاله وتحريره واعلان الثورة على السلطات البريطانية ، وقد أيدتها عشائر كثيرة في المنطقة وأخذت تمتد يوما بعد اخر الى مناطق أخرى في البلاد ، كما تبنى قادة وجماهير الحركة الوطنية في بغداد والمدن الرئيسة في العراق هذه الثورة وأظهروا تأييدهم لها بمختلف الوسائل المتاحة لها انذاك. وهنا برز - أبو التمن – بنشاطاته وأسهاماته المتميزة ، فقد كان يحضر اجتماعات قادة الثورة ميداني اً وله الكلمة المسموعة بينهم ويخرج الى ميادين القتال ويلقي الخطب الحماسية على مسامع الثوار بالأضافة الى ما كان يقدمه هو وجده الحاج داود وعمه الحاج سلمان من دعم مالي للثورة . وعلى الرغم من فشل الثورة التي لم تستمر الا بضعة أشهر لعدم تكافؤ قوى الطرفين ألا أنها أسهمت في التمهيد لتأسيسالدولة العراقية الحديثة كما أشير الى ذلك سابقا.

أبو التمن ونشاطه عبر الحزب الوطني

ظل أبو التمن يواصل نشاطه السياسي الوطني من أجل الأستقلال مع مجموعة من السياسيين الوطنيين حتى أستقر رأيهم على تشكيل حزب سياسي ، ومما يجب ذكره بهذا الصدد أنه كان لتوجيه العالم الديني الوطني المستنير المرحوم الشيخ محمد مهدي الخالصي أثر كبير في تحقيق ذلك ، اذ انه اشار وشدد على ابي التمن الى ضرورة المبادرة لتكوين حزب سياسي وطني وكان ذلك عقب انفضاض مؤتمر كربلاء الذي انعقد ١٣ نيسان ١٩٢٢ لتدارس - بدعوة من الشيخ الخالصي خلال الفترة بين ٨ الوضع العام في البلاد والذي اسفر عن قرارات هامة لتعزيز الوحدة الوطنية الضامنة للنجاح في التصدي للمخططات الاستعمارية وكانت

المحاولة الرسمية الاولى في ١٤ اذار ١٩٢٢ وقد ضمت الهيئة المؤسسة للحزب السادة التالية أسماؤهم:

السيد محمد صدر الدين من الكاظمية.
السيد محمد الكاظمي من الكاظمية.
السيد عبدالحسين الجلبي من الكاظمية.
السيد أحمد الشيخ داود من بغداد.
الحاج محمد جعفر أبو التمن من بغداد.
السيد مولود مخلص من بغداد.
السيد علي البزركان من بغداد.

الا أن وزارة الداخلية لم توافق على أجازته بحجة هجوم الوهابيين على عشائر المنتفك ، ولكن عدم موافقة وزارة الداخلية لم يوقف نشاط الهيأة المؤسسة للحزب فأكتسب سمعة طيبة وثقة عالية وتأييدا واسعا في معظم المدن العراقية وصار له المركز الأول من بين جميع الأحزاب التي كانت قائمة انذاك . لقد كانت عوامل نجاحه تتركز في نهجه الوطني غير الطائفي وتأكيده على أهمية الوحدة وتعزيزها وصلابة قادته وفي مقدمتهم شخصية - أبو التمن – الذي تولى رئاسته بالأجماع في جميع مراحله.

المحاولة الثانية لأجازة الحزب جرت المحاولة الثانية لتأسيس الحزب الوطني رسميا في ٢٨ تموز ١٩٢٢ من قبل السادة التالية أسمائهم:

جعفر أبو التمن.
مولود مخلص.
بهجة زينل.
محمد مهدي البصير.
أحمد الشيخ داود.
حمدي الباجة جي.
عبد الغفور البدري. . وقد تمت موافقة وزارة الداخلية في ٢ اب ١٩٢٢.

واصل الحزب قيادة الحركة الوطنية في مقاومتها للمعاهدة العراقية البريطانية التي أريد بها تثبيت حق u١٦٠٢ قانوني دولي للسيطرة البريطانية على العراق ، وتعاون الحزب مع حزب وطني اخر هو ((حزب النهضة)) الذي كان يرأسه السيد أمين الجرجفجي من أجل احباط مشروع المعاهدة المذكورة وتحقيق المطالب الوطنية ، و أزاء ذلك قررت السلطات البريطانية ممثلة بالمندوب السامي البريطاني الذي كان هو الحاكم الفعلي للبلاد ؛ بالرغم من وجود ملك وحكومة ؛ اتخاذ اجراءات قمعية شديدة لمواجهة النشاطات الوطنية العراقية كان من بينها تعطيل عدد كبير من الصحف والقاء القبض على بعض الناشطين الوطنيين والقاء القبض على السادة التالية أسمائهم ونفيهم الى جزيرة (هنجام) وهي جزيرة نائية وقاحلة في الخليج العربي ولم تكن الا مركزا لتموين الوقود للبواخر العسكرية البريطانية ولا يسكنها غير العاملين في هذا المركز، وكان ذلك في شهر أيلول ١٩٢٢ ، والسادة هم كل من:

جعفر أبو التمن.
حمدي الباجة جي.
الشيخ محمد مهدي البصير.
الشيخ أحمد الداود.
عبدالغفور البدري.
أمين الجرجفجي.
عبدالرسول كبة.
الشيخ حبيب الخيزران.
سامي خوندة (صحافي وصاحب جريدة الرافدين).

وبعد مرور عدة أشهر تمت اعادة جميع المنفيين عدا محمد جعفر أبو التمن وحمدي الباجة جي ، ثم تمت اعادة حمدي الباجة جي وبقى أبو التمن منفيا وحيدا في تلك الجزيرة امعانا في ايذائه وتعذيبه من قبل السلطات البريطانية لأستيائها الشديد من مواقفه الصلبة ضد مشاريعها وخططها وما تسببه هذه المواقف من أتساع المعارضة الوطنية ضدها ، ولم يفرج عنه وتتم عودته الى بغداد الا بعد مدة من الزمن.

أعتزل – أبو التمن – العمل السياسي بعد عودته من المنفى ، ويعزوا مؤرخو مسيرته ذلك الى الأسباب التالية:

خيبة أمله في معظم زملائه الذين كانوا معه منفيين في هنجام وبرجال السياسة عموما.

خيبة أمله في موقف الملك فيصل الأول لأنه عارض في عودته من المنفى ولم يساند موقفه على الرغم لما كان بينهما من علاقات ودية وثيقة.

الا أن الرأي العام العراقي لم يرتض لأبي التمن موقفه الأعتزالي لثقته الكبيرة بصدق وطنيته ، لاسيما وأن البلاد مقبلة على أحداث هامة ، منها تقرير مصير ولاية الموصل وعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا في عام ١٩٢٨، وعلى هذا فقد عاد الى ممارسة العمل السياسي ، وأشترك في أنتخابات مجلس النواب التي جرت في عام ٩ مايس ١٩٢٨ وفاز بها بالأجماع نائبا عن بغداد ، كما أعاد نشاطه الحزبي وتمت موافقة وزارة الداخلية على ذلك في ١٩ تموز ١٩٢٨.

محمد جعفر ابو التمن
تاجر يؤسس المدرسة الوطنية العراقية

حميد المطبعي

○ كم مدرسة وطنية في العراق المعاصر.؟

– ١. مدرسة الثورة العراقية الكبري ١٩١٥–١٩٢٠ بقيادة المرجعية الدينية العليا (عبد الكريم الجزائري وعبد الوهاب النائب)، وتبلورت بين يدي محمد الصدر ويوسف السويدي وباقر الشبيبي ومهدي البصير.

٢. المدرسة الوطنية العراقية ١٩٢٢–١٩٤٥ بزعامة جعفر ابي التمن.

٣. مدرسة اليسار العراقي ١٩٤٦–١٩٥٨ بقيادة مشتركة من الحزب الشيوعي (حسين احمد الرضوي وعزيز الحاج، وعامر عبد الله، وعزيز محمد)، ومن كامل الجادرجي وعزيز شريف ومحمد مهدي الجواهري وعبد الفتاح ابراهيم وفؤاد الركابي وفائق السامرائي وعبد الكريم قاسم.

٤. المدرسة الدينية الاشراقية ١٩٥٧ – ١٩٨٠ بقيادة محمد باقرالصدر وعبد العزيز البدري ومحمد باقر الحكيم.

○ اي المدارس الاربع ارسخ واقوي تأثيراً في الجمهور..؟

– كل مدرسة شرعت قانوناً في معني الوطنية ولكل مدرسة جمهور يزيد او ينقص بحسب البرامجية واري العراق مطبوعاً في هذه المدارس منذ بداية تكوين دولته الحديثة في العشرينات.

○ وهل بقي شيء او ظل لتلك المدارس.؟

– البذور تسبين في الاعماق مدة ثم تظهر فجأة واين اختفي الزعماء.

○ تعريف مختزل بجعفر ابي التمن.؟

– كما الوطن لايختزل ، فكذلك الكبار لايختزلون ، ولقد نشأ ابو التمن (١٨٨١–١٩٤٥) قدراً يرهص في اعماق التاريخ وكأنه انتدب ليؤدي ثلاث رسالات في لحظة التاريخ.

١. رسالة وطنية بتأسيسه حزباً وطنياً (١٩٢٢) كان انقي هيئة وطنية لم تدنس بأصابع اجنبية،١٩٢٨ –١٩٣٧.

٢. رسالة سياسية بجعله النيابة تكاد تكون (العينية) ١٩٣٧ مادة دائمة لفضح المعاهدات غير المتكافئة ونادي في كل موجودة التاريخي بعراق جمعي.

٣. رسالة اقتصادية ، وكان رجل عمل وليس الشعارات ترفع اليوم وتهبط غداً وبسعيه العبقري اسس النظريات الاقتصادية (التجارية والصناعية)، الاولي في بناء اقتصاد عراقي متوازن الابعاد ومن خلال تأسيسه غرفة التجارة ومعامل صناعية اساسها فكرة (اقتصاد السوق) وجوهرها الحرية الاقتصادية وكان في هذه الرسالات الثلاث يرسل رسالة الي المعتمد البريطاني (بأن العراق اوعي منكم) وبأننا(ورثة حضارة لاتقاوم).

○ هل كان ابو التمن زعيماً ام قائداً كيف تشخص تاريخه.؟

– كان زعامة تتجاوز مفهوم الزعيم بكثير من الخصال ، وقد تسميه المصلح وقد تسميه المبشر وقد تسميه ايضاً (الرسالي) نعم هو في كل هذه وعلم ثلاثة اجيال كيف تبتكر حكمه الوطن وكيف تسن قوانين الحرية كان فيصل الاول يقول له سراً، (كم يعجبني حوارك مع التاريخ) بينما برسي كوكس يجمع الخصوم ويقول لهم: (هل من طريق لازاحة ابي التمن من الساحة)، حتي الوثائق البريطانية الاخري لم تستطع ان تطعن برجل مخيف كأبي التمن، انما عالجته بروح المناورة (اعطوه الكرسي لناعم كي نحيده)، ولم يحيد لان في اعماقه نشأت صرخة مدوية (ايها العراق انت الاغلي والاعظم والاشمل).؟

○ ماهي المبادئ التي قامت عليها مدرسته الوطنية.؟

– ١– العراق اولاً ثم العراق اولاً ثم العراق اولاً.

٢. بلا اقتصاد قوي لاتتحقق الحرية السياسية.

٣. الاحتلال حرام، الانتداب حرام، الوصاية حرام ، اما البديل فأهل العراق يحكمون انفسهم بأنفسهم.

٤. ثروات العراق للمظلومين اولاً وللمضطهدين اولاً ، وللفقراء اولاً – ثم لكل من ملك حرية الوطن.

٥. الوطن بكونه شراكة تاريخية فلا اعتبار لجنس متفوق او لعرق متعال او لمذهب مهيمن ، فنحن سواء في حقوق المواطنة.

○ ولابد للزعامة من صفات فما هي صفات زعامة ابي التمن.؟

– سداد الراي وحصافته ، جهاد النفس والمال، عقل استدلالي مفكر، تواضح الكرام، شبابية ناهضة، حضور ساحر، قرار التأني الناضج، توقيت لحظة المواجهة، ثقافة حوارية، فطرة الذكاء ممزوجة بالتقوي، ولكل واحدة من هذه لها برهان في مسيرته التاريخية..

○ وكيف كانوا يقولون عنه.؟

– قال عنه شاعر ثورة العشرين مهدي البصير (كان هو هو لايتغير ولا يتبدل ولايعتريه ضعف ولا وهن)، ولاتشوبه شائبة وتعلق به ريبة ، ولاتلين حصاته ولا تغمز قناته).

وقال عنه كامل الجادرجي (كان من الاشخاص القلائل الذين لم توجه اليهم الطعون كما وجهت الي كثير من رجال الثورة، ولعله كان ابرز شخصية من بين اهل المدن العراقية).

وقال الجواهري من قصيدة يرثيه:

طالت ولو قصرت يد الاقدار

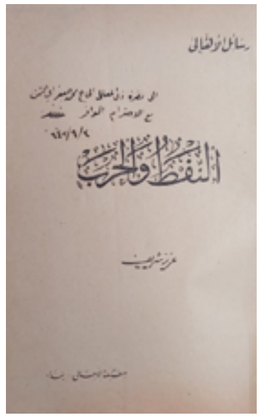

لرمت سواك عظمت من مختار.

○ هل ابو التمن عشيرة ام مهنة)..؟

– كان اجداده يتاجرون بالرز (التمن) مع تركيا وبلاد اشام ، وعندما وقع العراق في مجاعة علي زمن جده الثالث (مهدي كاظم) وزعت اسرته اكياس الرز الي العامة مجاناً ، فاشتهروا (بأبي التمن) تيمناً برمز (البر)، بدلاً من لقبهم القديم (الدريبي) الذين كما تذهب الوثائق النسبية يرجعون الي احد فروع القبائل القيسية – المضرية– العدنانية، وتقول وثائق اخري ان (الدريبي) هم قيسية نعم لكنهم يرجعون الي عشيرة (الردينية)، مباشرة، فهو : محمد جعفر بن محمد حسن بن الحاج داود الحاج سلمان بن الحاج مهدي واليه يعود لقب (ابي التمن) وبعضهم يرجعه الي قبائل ربيعة في الحجاز، وقد عرف جده (داود) بتجارته الكبري في الشرق الاوسط، وبتحويل بيته الي اشهر مجالس الادب في بغداد، وهو احد من عشرة اسسوا (المدرسة الجعفرية– ١٩٠٨) واسهم بحملة الجهاد في معركة (الشعيبة) علي كبر سنه وهناك في البصرة وقع في الاسر الانكليزي ١٩١٥ مجروحاً معانياً حتي استشهد ومن بين افراد عائلته عمه جعفراً وهيأ له ان يطل علي الوطنية اطلالة الجهاد.

○ وما هي ثقافة جعفر ابي التمن.؟

– درس العلوم الدينية والفقهية (ابان حداثته التجارية) علي العلامة الشيخ شكر البغدادي (١٨٥٥–١٩٣٨) كما درس الادب والشعر والبيان علي مجالس آل الصدر في الكاظمية فكتب الشعر في شبابه وفي اواسط عمره حرر المقالات الاقتصادية في مجلة غرفة التجارة ونوه بشعره ونثره الجميل مهدي البصير في كتابه (سوانح١٩٧٦) واشار بثقافته الفقهية القاضي توفيق المالكي قائلاً : (كان جعفر يحل اعقد المسائل الفقهية والشرعية.).

○ وما هي وظائفه الرئيسة..؟

– عين عضواً في المجلس البلدي لبغداد علي العهد العثماني وعضواً في مجلس معارف بغداد ١٩١٨ وشغل وزارة التجارة ١٩٢٢ واستقال في هذا العام لرفضه التوقيع علي المعاهدة البريطانية وشغل ايضاً وزارة المالية ١٩٣٦ في انقلاب بكر صدقي واستقال لان الانقلاب انحرف عن اهدافه ، كان يرفض دجل الزمان).

○ وماذا قدم في المجال الاقتصادي.؟

– كان تاجراً كبيراً لكنه تاجر وطني ، حول خبرة السوق لصالح وطنه ووطنيته ،،وهذه الشفافية التي طبع فيها جعلت التجار يدعونه لتأسيس غرفة تجارة بغداد فحصل علي عضويتها ونيابتها ١٩٢٩–١٩٣٥ ورئاستها ١٩٣٥ – ١٩٣٩.

فضلاً علي عقله الصناعي ، فقد رأس مجلس ادارة شركة تجارة وحلج الاقطان العراقية ورأس مجلس ادارة شركة استخراج الزيوت النباتية وهو ايضاً اشترك في تأسيس هاتين الشركتين وهما قاعدة الصناعة العراقية وكان اول من قال وركز علي نظرية حرية التجارة فبدونها (لانضمن للعراق استمرار التقدم والرخاء الاقتصادي.).

○ كيف بدأت قصته مع الوطنية وهو تاجر مشغول بتنمية ثروته.؟

– ١ . كان يرسل المؤن والاموال لجده داود يوم كان مجاهدا في البصرة يجاهد الغزاة الانكليز (فصرف نصف ثروته لوجه الوطن)، وربع آخر صرفه لبناء المدارس واغاثة الفقراء ، فهذا البذل الاجتماعي الاخائي اسهم بنشوء بذور الوطنية في داخله ، وكان يقول (الوطن اغاثة).

٢. اسس مع السيد محمد الصدر حزب (حرس الاستقلال ١٩١٩) ومهمته ان يقرش امام الوطنيين مقدمات الثورة لطرد المحتل لكن الانكليز حاصروه فلجأ الي الفرات الاوسط متدرباً ومرشداً ولم تحقق الثورة بعض اهدافها فخرج من الجبهات الحربية عبر الصحراء والتقي الشريف حسين في مكة وحاوره بشأن تعيين ولده فيصل علي عرش العراق ، وفي هذه الرحلة عاني الوطن في اعز لحظات هجرة الثورة.

٣. عندما عاد الي بغداد ١٩٢٠ –١٩٢١ عاد كما كان في وطنيته وحميته فأبعده الانكليز الي ايران ثم عاد اكثر قوة ولم يطقه الانكليز فنفي الي جزيرة (هنجام) ولم يرتجف في هذه الجزيرة الاسطورة ولم يقدم براءة عن وطنيته فأضطر الغزاة الي العفو عنه، فعاد يملأ قلبه الايمان كله.

٤. اسس (الحزب الوطني ١٩٢٢) وهو افضل مؤسسة سياسية انشئت في مرحلة العشرينات طالبت بعراق مستقل ارادي التكامل وخرج من الحزب جماعة احبت اغراءات الانكليز او فيصل الاول وابو التمن صامد ، ثم خرجت منه جماعة اخري باحثة عن كراسي السلطة وابو التمن يعنف الجميع، (هل الوطنية مجموعة كراسي يا رفاق)؟، وتعطل الحزب مدة ثم استأنف جهاده واندمج بحزب الاخاء بزعامة رشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي تحت اسم جديد(الاخاء الوطني ١٩٣٠) وعند ما رأس الكيلاني الوزارة ١٩٣٣ وافق الاخائيون علي المعاهدة البريطانية الا جعفرا ابو التمن ، قال للهاشمي والكيلاني: (عيب ان ننتكس، اين الميثاق الذي وقعناه سوية)، ومن تلك اللحظة اعلن ابو التمن اعتزاله السياسة قائلاً (اضطررت والاسف يملأ قلبي الي اعتزال السياسة انا واثق بأن التطورات في نهضات الامم امثالنا قد علمتنا بانها تضطرنا الي العودة متي حان الوقت للكفاح).

٥. ولم يطل الاعتزال كثيراً، فقد اتصل به كامل الجادرجي لجعله عضواً كبيراً في (جماعة الأهالي) فعمل معهم من خلال جمعيتهم (الاصلاح الشعبي) وهي جمعية يسارية نادت بالاشتراكية ثم انطفأت بموت انقلاب بكر صدقي (١٩٣٧، كان ابو التمن ثائراً عنيداً ومثله لاتطيب له / انصاف الحلول.؟

○ وماذا تسمي نظريته في السياسة.؟

– نظرية (الواقعية المثالية) قلا يدرك فيها السياسة الا من خلال الواقع المحسوس انه بادراكه الواقع يدرك عظم مسؤوليته في تحريك هذا الواقع.؟

○ هل نجح ام اخفق في نظريته.؟

– اخفق في نظر بعض جيله لانه اراد ان يكون الوطن شبيهاً به، ونجح لان التاريخ يثني علي رمز كبير مثله ربط مصيره بمصيره.

○ التاريخ لمن..؟

يغضي حياءً ويغضي من مهابته

فما يكلم الا حين يبتسم

○ كيف كانت علاقة ابي التمن بالاحزاب؟..

– كان قياسه الوحيد كيف تقترب الاحزاب الي الوطنية او تبتعد..

○ كيف عرف (الوطنية) هل له مفهوم خاص؟.

– الوطنية عنده: خلاصة الولاء لوطن معروف بحدوده ، وكان يقول من ملك الوطن بعد تحريره من الاحتلال ملك الايمان.

○ قيل كانت علاقة سرية مع الحزب الشيوعي..؟

– علاقة علنية وليست سرية ، اذ كان يهتم ويرعي حركة مؤسس الحزب الشيوعي (فهد) في اواخر العشرينات ويقول له(يا يوسف انت وكامل الجادرجي من شباب الامة الناهض والمستقبل لكما.

○ لماذا لم تتم العناية بتراث ابي التمن..؟

– السياسة في العراق تأكل اختها..!

○ اي اصطلاح صحيح ينبغي ان نطلق عليه؟.

– الرائد بكونه جاء بشيء جديد في الوطنية الخالصة والمصلح : انه اصلح في ذات الامة ،والداعية لانه تقدم المصلحين في انجاز الدور الوطني في تحرير بلده، وخير المصطلحات وافضلها هو : المؤسس فقد وضع بيده الكريمة دعائم المدرسة الوطنية العراقية)، وما زالت عدة اجيال تتخرج فيها.

○ هل الوطنية فكرة دينية ام اخلاقية ام شيء لايشبه ذلك؟.

– هي الوطنية مزيج من الدين والتربية والقومية والغريزة وشيء يبقي غامضاً.

○ لو عاش جعفر ابو التمن في عصرنا.؟

– لاعتزل السياسة.

○ ماذا تتمني لتمثل نصنعه لابي التمن..؟

– ان نضع بيده اليمني طيراً ابيض وبيده اليسري غصن زيتون، وان نلبس راسه عمامة بلون تراب العراق وان تطل من وجهه ابتسامة المظلوم، وبهذه الروح التراجيدية العظيمة يتجلي العراق الخالد.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:
www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ذكرى أبي التمن

محمد مهدي الجواهري

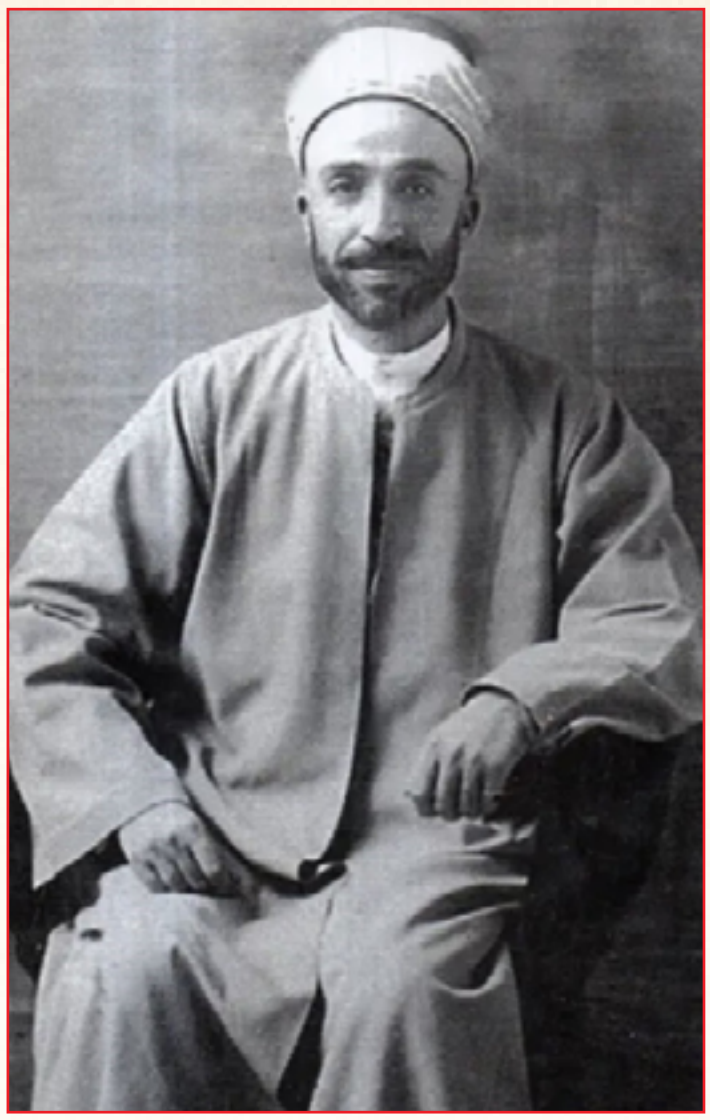

طالَتْ – ولو قَصُرَت يدُ الأعمارِ
لرَمتْ سواكَ عَظُمْتَ مِنْ مُختارِ
من صفوةٍ لو قيلَ أيٌّ فَذُّهُمْ
لم تَعْدُ شَخْصَكَ أعيُنُ النُظَّارِ
لكن أرادتْ أن تحوزَ لنفسها
عَينَ القلادةِ فازدَرَتْ بنُثارِ
وأرى المنايا بالذي تختارُهُ
للموتِ عاطلةً ، وذاتَ سوارِ
فطوَتْكَ في دَرْجِ الخُلودِ فعطَّرتْ
بكَ سالفَ الأحقابِ والآثارِ
واستنزلَتْكَ لغُربةٍ ولأنتَ من
عَلياكَ في لَجَبٍ من الأنصارِ
وتجاهَلتْ أنَّ البِلادَ بحاجةٍ
لكَ حاجةَ الأعمى إلى الإبصارِ
مُدَّتْ من الأخرى إليكَ معاصَمٌ
من رفقةٍ لكَ قادةٍ أبرارِ
خُلصاءَ سَعيكَ في الجِهادِ وإخوةٍ
لكَ في الوفاءِ المحضِ والإيثارِ
ورفاقُ هذي الدارِ فيما أسلفوا
للكاتبَيْنِ رفاقُ تلكَ الدارِ
بَكَرَ النَّعيُّ فما سَمعتُ بمثلِها
عبءاً على الأسماعِ والأبصارِ
رَمتِ العَمَاياتُ العيونَ وصَكَّتِ الأسماعَ
صافرةٌ من الإنذارِ
وترنَّحَ الأحرارُ يؤذِنُ بَعضُهُمْ
بعضاً بفقدِهُمِ أبا الأحرارِ
لله درُّكَ من نقيٍّ لم يَنَلْ
أذيالَهُ وَضَرٌ من الأوضارِ
في حيثُ تزدحمُ الشكوكُ وترتَمي
شُبُهاتُها حتَّى على الأخيارِ
خاضَ السياسةَ وانجلى عن لُجِّها
ألقَ الجبينِ مكلَّلاً بالغارِ
في حَينَ رامَ سواه خَوضَ عُبابِها
فطغى عليه فضاعَ في التَّيارِ
وصليبُ عُودٍ حينَ بعضُ مُرونةٍ
في ضَعفِها خطرٌ من الأخطارِ
وطَريُّ نفسٍ حينَ بعضُ صلابةٍ
في عُقمِها حجرٌ من الأحجارِ
وخَفيُّ كيدٍ حيثُ يسمو كائدٌ
ومن المكايدِ جالبٌ للعارِ
وصريحُ رأيٍ لم يَحِد عن خُطَّةٍ
ليلوذَ من تأويلِها بجِدارِ
حَربٌ على مُستعمرٍ وربيبِهِ
ومُسالمٍ مُستَغْمِراً ومُجَارِ
أعززْ عليَّ « أبا عزيزٍ » أنْ أرى
حُضَّارَ حفلِكَ زائغي الأبصارِ
خَلَتِ المحافلُ من عُلاكَ وأوحشتْ
مَن بَعْدِ وجهِكَ ندوةُ السُمَّارِ
وتَعَرَّتِ الأنظارُ عن مُستَشرفٍ
بادي السَّنا ، عالٍ على الأنظارِ
ولقد يَعِزُّ عليكَ أنَّكَ لا تَرى
في « الأَرْبِعاءِ » مواكبَ الزُّوَّارِ
أأبا عزيزٍ كنتَ تُذكي جذوتي
ويَلَذُّ سَمْعُكَ منطقي وحواري
غوْثَ الصريخِ ، أتتكَ تُعوِلُ حُرَّةٌ
حُرَّاءُ صارخةٌ من الأشعارِ
هَيَّجتَ منّي أيَّ داءٍ كامنٍ
وقدحتَ منّي أيَّ زندٍ واري
قسَماً بيومِكَ والفراتِ الجاري
والثورةِ الحمراءِ والثوَّارِ
والأرضِ بالدَّمِ ترتوي عن دِمْنَةٍ
وتَمُجَّهُ عن روضةٍ معطارِ
والخيلِ تزحفُ لم تَدَعْ لمُغيرِها
جثثٌ تُغطي الأرضَ أيَّ مُغارِ!
قسَماً بتلكَ العاطفاتِ ولم تكُنْ
لي قبلَها من حِلْفةٍ بالنَّارِ
إنَّ الذينَ عهدتَهُم حطَبَ الوغى
لولاهُمُ لم تشتعلِ بأوارِ
والّلاقحينَ نتاجَها بأعزِّ ما
ملَكَتْ يمينٌ من حِمىً وذمارِ
والداهناتِ دماؤهُم لِمَمَ الثرى
والمُؤنساتِ شواطئَ الأنهارِ
والناحرينَ من الضَّحايا خيرَ ما
حَمَلَتْ بُطونُ حرائرٍ أطهارِ
ما إنْ تَزالُ حقوقُهُمْ كذَوِيهِمُ
في الفَقْرِ سارحةً مع الأبقارِ!
وأعزُّ ما تبغي الحلائلُ منهمُ
أنْ تُستَرَ العَوراتُ بالأطمارِ
خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنَّها
بشخُوصِها خَبَرٌ من الأخبارِ
ضِقنا بها ضيقَ السجينِ بقيدِهِ
من فَرْطِ ما حَمَلَتْ من الأوزارِ
وتَجَهَّمَتْ فيها السماءُ فلم تَجُدْ
للخابطينَ بكوكبٍ سيَّارِ
شاخَ الشبابُ الطَّيبون وجُدِّدتْ
فيها شبيبةٌ شيخةٌ أشرارِ
وبدا على وَجهِ الحفيدِ وجَدِّه
للناظرينَ تقارُبُ الأعمارِ
مَن كان يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمرِه
حُكْمٌ أقيمَ على أساسٍ هارِ؟!
مَن الفظاعةِ أنْ تُريدَ رَعيَّةٌ
في ظلِّ دُستورٍ لها وشِعارِ
ما يَطلُبُ المأسورُ من يدِ آسِرٍ :
إسداءَ عارفةٍ وفَكَّ إسارِ
وروايةِ حبَكَ الزَّمانُ فُصولَها
فبدَتْ لنا ممسوخةَ الأدوارِ
من شرِّ ما اختلقَ الرُّواةُ ،ولفَّقتْ
حيلٌ ، وضمَّتْ دَفَّةُ الأسفارِ
وممثلينَ تصنَّعاً ووراءَهُمْ
خَلْفَ الستارِ مُلَقِّنٌ مُتواري
ومفرقينَ مَذاهباً وعناصراً
مُتكَفِّلينَ سياسةَ استعمارِ
نزلوا على حُكمِ الغريبِ وعَرَّسوا
في ظِلِّ مأثَمةٍ له وفَجارِ
وتحلَّبُوا أوطارَهُ فاذا بها
وَشَلٌ لما استحلى من الأوطارِ
واستفرَشَ الشَعْبُ الثرى ، ودُروبهُمْ
مملوءةٌ بنُثارةِ الأزهارِ!
وتحلَّأ الجَمْعُ الظماءُ ووُكِّلَتْ
أبناؤهم بالوردِ والإصدارِ
ذُعِر الجُنوبُ فقيلَ : كيدُ خوارجٍ !
وسكا الشمالُ فقيلَ : صُنْعُ جِوارِ!
وتنابزَ الوَسَطُ المُدِلُّ فلم يَدَعْ
بعضٌ لبعضٍ ظِنَّةً لفَخارِ
ودعا فريقٌ أنْ تَسُودَ عَدالةٌ
فرمَوا بكلِّ شنيعةٍ وشَنارِ!
ومشَى المغيثُ على الجِياعِ
– يَقوتهُمْ – وعلى العُراةِ ، بجحفلِ جرّارِ
وتساءلَ المتعَجِّبونَ لحالةٍ
نكراءَ : مَنْ هُم أهلُ هذي الدارِ؟
هيَ للصحابةِ من بَني الأنصارِ
من كلِّ بَدريٍّ وكلِّ حَواري
للحاكمينَ بأمرِهم عن غيرِهم!
ولصَفْوةِ الأسباطِ والأصهارِ
من كلِّ غازٍ شامخٍ في صدرِه
زاهي الوِسامِ ، مُدَوِّخِ الأمصارِ
هيَ للذينَ لو امتَحنتَ بَلاءهم
لعجِبتَ من سُخْريَّةِ الأقدارِ
هي للذي من كلِّ ما يَصِمُ الفتى
كاسٍ ، ومن جُهْدٍ يُشرِّفُ عاري
ومُسلَّطٍ مُستَلطِنٍ مشتْ به الأهواءُ
مشيةَ مُثقَلٍ بخُمارِ
نَسِيَ المُعيرَ ولو تذكَّرَ لأنثنى
خِزْيانَ من ثوبٍ عليه مُعارِ
كم رامَ غيرُكَ مثلَها فأحلَّهُ
نزقُ الغُرورِ بشَرِّ دارِ بَوارِ
بل لو تذكَّرَ لم يجدْ لضميرِهِ
ومصيرِه عَوناً من التَّذكارِ
لم يبقَ إلَّا أنْ تُتَمِّمَ خطوةٌ
ويظَلُّ يَلعبُ لاعبٌ بالنارِ
فلَرُبَّما نفَتِ الشَّكاةَ وقرَّبَتْ
يومَ الخلاصِ سياسةُ الإصرارِ
أأبا عزيزٍ والحديثُ كما رَوَوا
شَجَنٌ ، ومُرُّ القولِ عذْبٌ جاري
ومن العواطفِ ما يثورُ ويَغتلي
مثلَ الجحيمِ ، ويرتمي بشِرارِ
عَفْواً وإنْ شطَّ المدى عن غايتي
ونبَتْ جيادُ الشعرِ عن مضماري
فلقد تَحشَّدَتِ البواعثُ واشتَكَتْ
صَمْتَ القريضِ لفَحْلِهِ الهدّارِ
ولقد عَهِدْتُكَ بالبلادِ وأهلِها
جَمَّ الشُجونِ ، مُوزَّعَ الأفكارِ
ووجدتُ قَدْحَ الذكرياتِ شجيَّةً
بَرْداً لأفئدةٍ عليكَ حرارِ
وعَرَفتُ أشجاناً يثيرُكَ بَعْثُها
فأثَرْتُهُنَّ فطِرْنَ كُلَّ مطارِ
إيهِ شبابَ الرافدينِ ومَنْ بهم
يرجو العراقُ تَبَلُّجَ الأسحارِ
الحاملينَ من الفوادحِ ثِقْلَها
ليسوا بأنكاسٍ ولا أغمارِ
والذائدينَ عن الحياضِ إذا انتحَتْ
كُرَبٌ ، ولاذَ مُكابرٌ بفرارِ
والباذلينَ عن الكرامةِ أرخصَتْ
أغلَى المُهورِ ، وأفدحَ الأسعارِ
الفَقْرَ إذ طُرقُ الغِنى مفتوحةٌ
والبؤسَ إذ غَدَقُ النعيمِ جواري
ومؤجِّجينَ نفوسَهمْ وقُلوبَهمْ
شُعَلاً يسيرُ على هُداها الساري
والحابسينَ زئيرَهم بصدورهم
فإذا انفجرنَ به فأيُّ ضواري
والقانعينَ من الحياةِ رخيَّةً
بالمُماظةِ ، ومن الكرى بغرارِ
والمغرياتُ مُراوداتٌ ترتجى
وتَخيبُ ، من عُونٍ ومن أبكارِ
لا تيأسوا أنْ يَلُحَّ من ليلةٍ
فجرٌ ، ولم تؤذَنْ بضوءِ نَهارِ
فلئنْ صَليتُمْ من هَناةِ جَمْرِها
ومشَيْتُمُ منهنَّ فوقَ شفارِ
فطوالُ مُخرجةِ الأمورِ وإنْ قَسَتْ
في شرعةِ التأريخِ جدُّ قِصارِ
لا بُدَّ أنْ يَثِبَ الزَّمانُ ، ويَنثني
حُكمُ الطُغاةِ مُقَلَّمَ الأظفارِ
وتُجَدِّدَ الأيَّامُ عَهْدَ وصالِها
من بَعدِ إعراضٍ لها ونِفارِ
فهُناكَ سوفَ يكونُ منْ زَهَراتِكم
أصفى معارفِها وأطيبُ جارِ
وهناكَ سوفَ يَرى الغنيمةَ معشرٌ
أنْ يُمْسِكُوا من خَلْفِكُمْ بغُبارِ
فحَذارِ من عُقبى القُنوطِ حذارِ
وبِدارِ للعهدِ الجديدِ بِدارِ